المنهج الدلالي .. في شرح المقامات الحريرية للمطرزي

سمية حسن عليان [1]

قسم اللغة العربية – جامعة اصفهان

الملخص:

المقامات الحريرية، هي واحدة من أهم الأجناس الأدبية التي يزخر بها الأدب العربي؛ ولكونها كذلك اهتم بها الكتاب والنقاد، وراح كل واحد من فئة الدارسين، يهتم بقضية من قضايا الفعل الكتابي واتجاهاته وملامحه في المقامات عموما، ومقامات الحريري على وجه الخصوص .. والتي مهدت ـــ كما هو معروف ـــ لظهور فن القصة والحكي في المكتوب العربي. وبفعل الاتجاهات الحديثة للدراسات، افتعل المُقوم الأدبي في مجالات الدراسة الكثير من المناهج وأضرب صناعة وتقويم الكلمة الفنية، ذات الدلالات المتعددة والعميقة ، والتي تخضع لمنطق التداولية، وتجريدية الخطاب، ومفاتيح الإبستيمولوجيا ذات التفعيل الدلالي والمنهجي للنص الأدبي.

لقد أخضع الأديب المطرزي في كتاباته عن المقامات الحريرية، نصوصا ذات اتجاهات تداولية خدمت الاتجاه الواقعي والمعرفي للحالة الإنسانية السائدة في ذلك العهد؛ وبالتالي جاءت دراسته مزدوجة الاتجاهات، حيث أخضعت النسق اللفظي للبعد المعنوي، وفتحت النص على مصراعيه، لظهور التداولية وخطاب التجريد ومقاماته المتعددة.

لذلك جاءت الدراسة مترافقة مع هذا المنهج والخطاب، في صناعة مفاتيح تحليلية لطريقة تناول المطرزي لمقامات الحريري، دراسة معرفةً، ولغوية ، ودلالية...

ـــ مقدمة:

إن أهمية المقامات في الأدب العربي تحظى بمكانة متميزة عند أهل الأدب واللغة والبيان ، فضلا عن أهميتها في تبيين جوانب من الحياة الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية التي كانت سائدة في زمان الحريري.

وظلت المقامات الحريرية من الأشهر بين كم كبير من المؤلفات التي ظهرت في العصر العباسي الثاني الذي عاش فيه الحريري؛ وذلك لأن حركة التأليف كانت على تواصل دائم في هذا العصر. وشهرة هذه المقامات جعلت الأمراء و الوزراء يستأنسون بها، والقراء يتلقونها قراءة وبحثا، والكتاب يجتهدون في شرحها وتوضيحها. ومن الشراح الأوائل هو الأديب النحوي المطرزي.

1. أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان shassanalian@yahoo.com

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المنهجية فرع من فروع الإيبستمولوجيا (علم المعرفة) تختص بدراسة المناهج أو الطرق التي تسمح بالوصول إلى معرفة علمية للأشياء؛ وتظهر أهمية هذا العلم يوما بعد يوم لأنه يسهل الطريق للوصول إلى العلم والمعرفة.

ومن هذا المنطلق يهدف البحث إلى دراسة منهج المطرزي في شرحه للمقامات الحريرية، قراءة دلالية تداولية لإنشاء موقف معرفي، يُحمل المقامات الحريرية بعدها التفاعلي المتميز.

وبيان المصادر التي اعتمدها الشارح في شرح المقامات، والتعرّف على أهمّ السمات البارزة لمنهج المطرزي في كتابه "*الإيضاح لمقامات الحريري*"، ومعرفة مدى اهتمام المطرزي بالنحو، والبلاغة والرواية والنقد في كتابه.

والمنهج طريقان: الطريق الأول: أنْ ينصّ المؤلف (الشارح) على منهجه في أول كتابه في المقدمة ،كما فعل الشراح المعاصرون في شرحهم للمعلقات كمفيد قميحة، أو أن ينصّ عليه في مواضع متفرقة في الكتاب. والطريق الثاني: أن يُعرف المنهج عن طريق الاستقراء.

وبما أن المطرزي لم يُشر إلى منهجه في مقدمة كتابه، فعلينا أن نستقرئ منهجه في شرحه بقراءة نصوصه ولذلك فالمنهج الذي يتبعه هذا البحث هو ــ التحليلي الوصفي .

ولا يفوتنا الذكر بالنسبة إلى دراسة المنهج للتأليفات المختلفة التاريخية والتفسيرية، أن هناك مقالات وكتب قيّمة، ولكن بالنسبة إلى منهج شراح المقامات فنكاد لا نجد بحثاً شاملاً وافياً للموضوع، على حد علمنا و قراءاتنا .

ــ نبذة عن المطرزي؛ حياته وتأليفاته:

ولد أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي النحوي الأديب الخوارزمي في خوارزم في رجب سنة 538 هـــ / يناير سنة 1144 م، و هي السنة التي توفى فيها الزمخشري، و لذلك قيل له: خليفة الزمخشري. سمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعد التاجر وغيره وكان تام المعرفة بفنه، وقد اشتغل إلى جانب اللغة بالفقه على المذهب الحنفي، وبعقيدة المعتزلة. وفي عام 601 هـــ / 1204 م، أقام ببغداد بعض الوقت، وجرى هناك له مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الأدب عنه. وله أشعار كثيرة.

توفى في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة 610 هـــ / 9 أكتوبر سنة 1213 م بخوارزم أيضاً.

من مؤلفاته هي: «شرح المقامات للحريري» وهذا هو الكتاب الذي بين أيدينا سندرس منهجه، «المغرب» وشرح فيه الألفاظ الغريبة التي يستعملها الفقهاء، «المعرب في شرح المغرب»، «الإقناع» في اللغة، «مختصر إصلاح المنطق»، «المصباح» في النحو، «المقدمة» المشهورة في النحو، «رسالة في إعجاز القرآن» (انظر: الحموى، 1980م، 19: 212، ابن خلكان، 1397ه، 5: 369 و 670، القفطى، 2004م، 3: 239، كحاله، 1993م، 2: 151).

ــ منهج المطرزي و دلاليته في شرحه للمقامات الحريرية:

في هذا القسم من البحث سنشير إلى منهج هذا الباحث في شرحه على المقامات الحريرية. وقبل ذلك يجب أن ننوه أن المطرزي احتفل في هذا الشرح بمقدمة موجزة أفصح فيها عن أهمية المقامات في الأدب العربي إذ اعترف بأنه لم

یر في تصانیف العرب والعجم کتابا أحسن تألیفا وأعجب تصنیفا وأغرب ترصیفا وأشمل لعجایب العربیة وأجمع لغرایب الأدبّیة وأکثر تضمنا لأمثال العرب ونکت الأدب مثل المقامات، مبتدئا مقدمتها بالبسملة والتحمید والثناء والصلاة علی النبي محمد صلوات الله علیه وعلی آله البررة الأتقیاء وأصحابه سادة الأولیاء، منوها إلی أن کثیرا ممن اهتموا بالمقامات من أبناء زمانه وبدأوا في شرحها لتفهّم جملها خبطوا خبط عشواء، ومن هذا المنطلق أشار إلی هدفه من کتابة هذا الشرح القیم قائلا: «أردت أن أخوض في عبابه وأروض لبعض طلّابه ما تعسّر إلیه من صعابه وأسهل مسالک شعابه وآتي کل مسمّی من بابه أستکشف مکنون کل غامض وأستخرج سر کل حلو وحامض وأفصّل ما أجمل وأحل ما أشکل بعد ما تصحفت قوانین الأدب وبحثت دواوین العرب ونفضت أوعیة الحکایات وقطعت أودیه الروایات مع مراجعة الشیوخ الذین عضّوا في العلم بنواجذهم ورموا غرض الإصابه بنوافذهم» (25).

وبعد هذه المقدمة الموجزة بدأ المطرزي في بیان تعریف لعلم البلاغة مفصلا قضایاها، موضحا شعبها المختلفة کالبیان، والاستعارة، والتجنیس و..، مستشهدا بالقرآن الکریم والشعر العربي ونص المقامات.

من أهم ما یلفت انتباه قارئ هذا الشرح هو اهتمام الشارح بما یلي:

1ــ الظواهر اللغویة.. و دلالیة الخطاب المقامي

بما أن الغرض الأصلي لتألیف المقامات هو تمرین فن الإنشاء وتعلیم اللغه للناشئین وللألفاظ والمفردات فیها أهمیة کبیرة لا یستهان بها، کما یقول ابن الطقطقی: «إنّ المقامات لا یستفاد منها سوی التمرن علی الإنشاء و الوقوف علی مذاهب النظم و النثر» (1339ه، 10). ولذلك کان للمفردات المستخدمة في المقامات شأن عظیم ودور هام في القیاس مع سائر الإنتاجات الأدبیة یقول ابراهیم السعافین: «لیست اللغه فی المقامات عنصراً یمثِّل مادة العمل «الخام» وهي علی هذا النحو، لیست وسیلةً یتوسل بها النص المقامي لتحقیق غایة معینة، تبدو محایدة في عملیة الخلق الأدبي أو ثانویة تختفي وراء الغایة الأخلاقیة أو التعلیمیة وحتی الجمالیة، إنّها عنصر رئیس في المقامة تنبثق من ذاتها وتشکل کیاناً مستقلاً یُشیر ثم یرتد إلی ذاته» (1987م، 117) فنری أنّ اللفظ یغلب علی المعنی في کثیر من جوانبها.

وانسیاقا من هذا فاهتم شراح المعلقات بألفاظ هذا الفن الأدبي وکلماته و لم یستثن المطرزي من هذا الموضوع فأخذ یشرح المفردات الصعبة والکلمات الغریبة. ومن مظاهر اهتمام المطرزي بالظواهر اللغویة في شرح المقامات هي:

شرح المفردات: من أهم سمات شرح المطرزي في توضیح المفردات هي:

أنه یقلب اللفظة الواحدة ویذکر کل معانیه وهذا أمر قد غلب علی شرحه؛ مثلا قال في کلمة «الزهو»: «والزهو الکِبر والنخوة وأصله الرفع والهزّ ومنه زهاه السّراب وزهت الریح النبات والازدهاء افتعال منه فقولهم زُهِي فلان بکذا إذا نجئ کان معناه زهّاه الإعجاب بنفسه وقوله أزهی راکب وقولهم أزهی من الغراب من أخوات أشغل من ذات النحیین وهو أشهر منه في أن کلّا منهما شاذ لأن القیاس أن یُفضّل علی الفاعل دون المفعول» (217).

وكان يشير حيناً إلى جمع اللفظة إذا وردت مفردة في نص المقامات، وهناك نماذج كثيرة في شرحه ولكنّنا هنا نشير إلى بعضها:

«القطيفة: دثارمخمل والجمع قطائف وقُطُف» (314)؛ «الغيل جمع غيلة وهو اسم من الاغتيال وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله وكان أصله من الغيل وهو الأجمة» (196).

«السمل الثوب الخلق ومنه قيل لبقية الماء في البئر سمل والجمع أسمال» (124).

أو كان يشير حيناً آخر إلى مفرد الكلمات إذا وردت جموعاً في النص؛ وهذه بعض نماذجها:

«الحمولات جمع حمولة وهي الإبل يحمل عليها قال الله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[1] وكذلك كل ما احتمل عليه الحي من حمار أو غيره سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن فهمي حمولة والتاء فيها كالتي في ركوبة وحلوبة وقتوبة وأما الحمولات بالضم فهي جمع حمول وحمولة وهي الأحمال أنفسها والتاء فيها لتأكيد معنى الجمع كما في الخروفة والسهولة» (197).

«ملامحه: لوامعه جمع لمحة من لمح إذا لمع على غير قياس كمشابه في جمع شبه أو مناظره وما تبصره منه جمع ملمح من لمحه إذا أبصره على القياس المطرد» (298).

و حتى لم يكتف بذكر المفرد فقط، بل أشار إلى وزن الجمع ناقلا آراء العلماء في الموضوع وذلك كقوله في لفظة العراق إذ قال: «العُراق: جمع العُرق وهو العظم الذي يؤخذ عنه اللحم وهذا أصله وإنما ضربه الحريري مثلا للشيء القائل وغرضه أن يجانس بينه وبين العراق. قال السِّيرافي و لم يأت شيء من الجمع على فعال إلا أحرف، توام جمع توأم وشاة ربى وغمّ رباب وظئر وظؤار وعرق وعراق ودخل ودخال وفرىر وفرار ولا نظير لها وهي أسماء جموع غير مكسرة وحذائها كعبيد وكليب وجامل وباقر» (120).

والملاحظ أنه يذكر لجمع واحد كل المفردات التي ذكرها علماء اللغة ،مشيرا إلى معنى كل مفردة؛ وذلك كقوله في لفظة «المقاري»: «المقاري جمع المقراة وهي الجفنة أو جمع المقرى وهو كل إناء يقرى فيه الضيف» (124)، أو قال في شرح مفردة «المعاوز»: »المعاوز جمع عوز وهو الحاجة والفقر غير مبنى على واحدة كملاح ومشابه وأن تكون جمع معوز من أعوزه الدهر إذا أفقره» (120).

ويذكر في شرح المفردات أصل اللغات: إذ يشير إلى معنى اللفظة في الأصل والمعنى الغالب عليها. قال في لفظة «الشهبة»: «في الأصل بياض يختلطه سواد ثم قالوا عام أشهب وسنة شهباء إذا كانت مجدبة دون الزرع يشهاب فيها أي يهيج ويصفر» (204)، أو قال في لفظة «الأفاك»: «الكذّاب والأفيكة الكذب وأصلها من الإفك وهو الصرف لأنه كلام إفك عن حقيقته وصرف عما هو عليه» (179).

1. الأنعام 6: 142.

وذلك في شرحه كثيرة كثرة مفرطة؛ وهذه قضية لو دلت على شيء لتدل على سعة اطلاعه على اللغة وعلمه الوافر للكلمات وأصلها.

كما نلاحظ أن المطرزي ذكر في شرحه أصل الكلمات التي دخلت من الفارسية أو غيرها إلى اللغة العربية مثلا قال في شرح لفظة «التُرَهات»: «الطرق الصّغار غير الجادة التي تتشعّب عنها الواحدة تُرَّهة فارسي معرب ثم استعير في الباطل» (213)؛ أو قال في لفظة «الأوارج»: «تعريب أواره بالفارسية» (264). فضلا عن أنه كان يذكر في شرح بعض الألفاظ ما يسمى ذاك اللفظ في اللغة الفارسية، مصلا قال في شرح «الحابول»: «هو الحبل الذي يصعد به النخل ويسمى بالفارسية بروند يكون متخذا من اللحاء ولذلک جعله منتسبا إلى الأم وهي النخل أو شجر غيره» (400).

كما أشار إلى أصل اللغات في الكلمات التالية: دساتير جمع دستور (263)، سموأل (272)، الإصطرلاب (309)، الخلنج (311)، المدروز (315) و...

ومن سمات شرح المفردات في شرحه هي الإشارة إلى تذكير لفظةٍ ما أو تأنيثها؛ مثلا قال في لفظة «الأخريات»: «جمع الأخرى تأنيث الآخر كالأوليات في الأولى تأنيث الأول» (121). أو أشار إلى مؤنث لفظة «التلو»: «التلو: التالي والأنثى تِلوة» (203).

وكما أنه قد أشار إلى معنى المفردة بصورة عامة ولكنه ذكر أيضا المعنى الذي يناسبها في تلك الجملة وذاك السياق. على سبيل المثال قال في شرح لفظة «الخِبء»: «ما يخبأ من الذخيرة وأريد به هنا الضمير والباطن» (232).

ومنها أيضا توضيح دلالة المشتقات؛ وذلك كالنماذج التالية التي أشار فيها إلى دلالة المشتق ليتضح المعنى أكثر:

«الخبأة» فِعلة بمعنى مفعول (334)؛ «الخلية» فعيلة بمعنى فاعلة (335)؛ «العريكة» فعيلة بمعنى مفعولة، لأنها تعرك وإنما ألحق بها الهاء لأنها أخرجت مخرج الأسماء كالنطيحة والذبيحة (412)؛ «العصبة» فعلة بمعنى مفعولة لأنها باجتماعها كأنما عصب بعضها ببعض (415)؛ و...

الأضداد: هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى من جهة الضد . أي أنَّ الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لاختلاف تغاير. «والأضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نافاه. نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدًّا له. ألا ترى أنَّ القوة والجهل مختلفان، وليسا ضدين، وإنّما ضدّ القوة الضعف، وضدّ الجهل العلم . فالاختلاف أعمُّ من التضاد . إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين» (أبو الطيب اللغوي، 1963م، 1: 1). ومما أشار المطرزي إلى الأضداد في شرحه هي كثيرة منها أنه قال في شرح المقامة الثالثة عشرة: «وقولهم كذب عن القتال إذا جبن وحقيقته أنه ظن به الإقدام فكذب ذلك الظن بنفسه أو جعل حملته كاذبة وضده صدق القتال إذا أبلى فيه» (201).

وقد يستعمل المطرزي لفظ «الخلاف» بدل «التضاد» وذلك في قوله: «التعريض خلاف التصريح» (225)؛ أو قال: «الأملس خلاف الأجرب وقيل هو ضد الدبر» (455).

التصغير: وذلك كقوله في شرح لفظة «العُويم» في المقامة التاسعة عشرة: «العويم تصغير العام يقال ذات العويم كما يقال ذات الزمين وهو من إضافة المسمّى إلى اسمه كأنه قيل مدة صاحب هذا الاسم الذي هو العويم» (243).

أو قال في لفظة «المهيرة»: «المُهيرة تصغير المهيرة مرخّمة وهي من النساء ذات المهر والمراد بها الحرّة يقال لفلان مهيرة وسرّية ومهائر وسَراريّ» (414).

المشترك اللفظي: وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى. وقد سمّاه سيبويه (ت 180هـ) «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين» (سيبويه، 1: 24)، وعرّفه ابن فارس بقوله: «أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر» (ابن فارس، 456)، كما حدّده الأصوليون بأنّه: «اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» (السيوطي، 1: 369).

أمّا عن طريقة تناول المطرزي لهذه الألفاظ، فكان كثيراً ما يذكر اللفظ، ويقلّبه على ما يحتمله من أوجه المعاني. ومن الأمثلة على المشترك اللفظي أيضاً ما قاله المطرزي في بيان معنى لفظة «العلم» فقد ذكر لهذه اللفظة أكثر من معنى، إذ قال: «الأعلام في الأصل جمع علم وهو العلامة ثُم قيل لما ينصب في الطريق من الحجارة وغيرها ليهتدي به عَلَم وللجبل والراية أيضا علم للمعنى الجامع بينهما ثم سمّوا العالم المشهور والسيد المذكور علما على التشبيه وهو الذي عني بقوله لقد أنزلها بأعلام المدارس» (215).

ومثال المشترك اللفظي في شرح المطرزي على حد قول سيبويه أي اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين هو: «الغرب الأول حد السيف وأصله الحدة في كل شيء والثاني غرب العين وهو مجرى الدمع واسم للدمع الذي يخرج أيضاً يقال سالت غروبه أي دموعه .. والغرب الثالث هو المغرب» (228)، ولعل كل جناس تام يدخل ضمن هذا التعريف، إذ فيه تتفق الكلمتان في اللفظ وتختلفان في المعنى.

ومن الأمثلة على المشترك اللفظي أيضاً «صنبور»، إذ جاء في شرح المطرزي: «صنبور كلّ نخلة يدق أصلها وتبقي منفردة ومنه أن فلانا لصنبور أي فرد لا أخ له ولا ولد والصنبور أيضاً قصبة الأداوة من صفرٍ أو حديد يشرب فيها مقلاع قذّافة تقذف بها القلاعة» (351).

الترادف: وهو ما اختلف لفظه واتفق معناه. وقد أشار إليه سيبويه بقوله: «هو اختلاف اللفظين والمعنى واحد» (سيبويه، 1: 24)، وحدّه الأصوليون بأنّه «توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد» (الشريف الجرجاني، 1988م، 56). واختلف علماء اللغة في وقوعه في العربية.

وظاهرة الترادف واضحة في شرح المطرزي؛ إذ اعتمد عليها في كتابه، وهذا يعني أنّه عندما يريد تفسير لفظة غريبة لا بد له من أن يأتي بلفظة أو ألفاظ أخرى مرادفة لها في المعنى، ليستطيع من خلالها توضيح المعنى المراد في اللفظة، وهذا الأمر لا يكون إلاّ من خلال الترادف.

وممّا وقفت عليه من ظاهرة الترادف في هذا الشرح ما قاله المطرزي في معنى «السادل»: «يقال: سدل الستر إذا أرخاه وستر مسدول ومنسدل وأرخى الليل سدوله وسدَل وسدر وستر أخوات» (111).

ومن الأمثلة على الترادف أيضاً لفظة «الترع» إذ قال المطرزي: «الترغ والنسغ والندغ والنخس أخوات في معنى الطعن ومنه يقال نزعه الشيطان إذا حثه على المعاصي كأنه ينخسه إليها ونزع بين القزم أفسد بينهم بالحث على الشر وعن علي بن عيسى نزغه أزعجه إلى الشرّ وعنه أيضا الترع النخس بما يدعو إلى الفساد وإلى خلاف الصواب» (172).

ومن ألفاظ الترادف أيضًا الفعل «شمت»، إذ قال المطرزي: «سمّت العاطس وشمّته بالشين جميعاً دعا له قال تغلب الاختيار السين وقال أبو عبيد الشين المعجمة أكثر قال المرزوقي: سمعت أبا علي الفارسي يقول في اشتقاق التسميت وهو قولك للعاطس: يرحمك الله كأنه إذا عطس لحقته نفضة في جسمه فإذا دعا له الداعي فكأنّه ردّه إلي سمته وهدْيه وقال في التشميت: كأنّه التثبيت من الشوامت وهي القوائم» (262).

لم يشر إلى معانى لفظة مفردة فقط؛ بل قلب العبارات على أوجهها ذاكرا المعاني المختلفة لها ،كقوله في بيان معنى جملة: «وتكَلَّف الكُلَف يسهل الخلف»؛ إذ قال: «يحتمل الوجهين: أحدهما أنّ الوصول إلى ما تستخلفه إنما يسهل بعد تحمّل الشدائد وتجشم المصاعب لأن المشقة إنما تكون في معالجة المقدمات والأسباب والثاني أن تكلّفكَ أمرا شاقا في حق صاحبك يسهّل عليه أن يجازيك ويخلِف عليك ما أنت مستحّقُه وعلى هذا يحمل قوله وفضل المؤنة يسنّي المعونة» (227).

ومن مظاهر اهتمامه بالظواهر اللغوية هو إشارته إلى وجه تسمية الألفاظ المختلفة في الشرح؛ إليك بعض نماذجها:

«اليمين الغموس هي التي لم توصل بالاستثناء عن الخليل وعن أبي عبيد نراها سميت بذلك لغمسها صاحبها في المآثم» (302).

«وقوله: المنقوشة البيض الوضح يعني الدراهم أو الدنانير والوضح في الأصل حلي من فضّة سمّي بذلك لوضوحه» (340).

«العاتق الشابة أول ما أدركت سمّيت بذلك لأنّها كانت عتقت من الصبي وبلغت أن تزوّج» (344).

«قيل سمّيت المراة علة بفعل الرجل لأن الذي تزوّجها بعد الأولى كان قد نهل منها وعلّ من هذه» (347).

«القريع السيد يقال هو قريع دهره وقريع زمانه مستعار من قريع الشوك وهو فحلها كما استعير الفحل والقرم للسيد أيضاً وإنما سمي قريعا لأنه يقرع النوق أو لأنه مقترع من الإبل أي مختار منها من اقترعه إذا اختاره» (146).

وحتى نلاحظ أنه قد ذكر وجه تسمية البلدان كقوله في بغداد إذ قال: «وقال ابن قتيبة كان الأصمعي لا يقول بغداذ وينهى عن ذلك ويقول مدينة السلام لأنه سمع في الحديث أن بغ صنم وداد عطيته بالفارسية كأنها عطية الصنم» (207).

3- النحو:

يزخر شرح المطرزي بمجموعة لا بأس بها من الظواهر والأدلة التي تضع قارئ هذا الشرح أمام حقيقة واضحة لا تحتاج إلى كثير من الفحص والتدقيق للتوصل إليها، فالمطرزي كان عالماً متبحراً مثقفاً واسع الثقافة والاطلاع في مجال

اللغة والأدب وعلوم الشريعة ، وهذه الثقافة تتوضح في جانبين: الأول هو تنوع المشارب الثقافية التي نهل منها المطرزي وظهرت في معالجته المجالات المختلفة كالنحو والصرف واللغة وعلم الأصوات، والثاني هو عمق تخصصه في العلوم خاصة النحو بكل جوانبها وحيثياتها وما اتصل بها والاختلافات التي ثارت حولها وأهم المذاهب التي عالجتها.

تتجلى أهمية إعراب النصوص في ناحيتين:

الأول: الإبانة عن المعاني، فهو بذلك يخدم علم الدلالة مباشرة وعندما نتتبع شرح النحاس نلاحظ أنه اهتم بالإعراب أساساً اعتمد عليه في بيان المعاني الخافية.

الثاني: هو التطبيق الواسع على قواعد العربية النحوية والصرفية، مما يهيئ لدارسي العربية مزيداً من الشواهد بخاصة عندما كان هذا التطبيق قائماً على الشعر الجاهلي بوصفه أتقن وأقدم موروث أدبي، لغوي، بلاغي، نحوي عند العرب (محمد المدني، 1995م، 39).

وهنا نشير إلى أهم سمات منهجه في النحو وهي أنه:

ـــ الإشارة إلى إعراب الكلمة في نص المقامات: إليك بعض النماذج منها:

«ما في لشدّما مثلها في نعمّا في أنّها نكرة في موضع نصب واللام للقسم ومعنى الكلام التعجب» (282).

«آها: كلمة توجع وتحسر وانتصب حسرة على أنه بيان للضمير في لها» (300).

فضلا عن أنه كان يشير إلى الأوجه الإعرابية المختلفة لكلمة واحدة في نص المقامات؛ وذلك كقوله في بيان إعراب لفظة «صفحا» في المقامة الرابة والثلاثين إذ قال: «إمّا مصدر من صفح عند إذا أعرض منتصب على المصدرية كقولك: قعدت جلوساً وإمّا بمعنى الجانب من قولهم: نظر إليه بصفح وجهه على معنى فأعرضت عنه جانبا وانتصابه حينئذ على الظرفية» (337).

ـــ بيان معاني الحروف: كبيانه لمعنى الباء في في قول الحريري: «وتخبط بي الظلماء» بأن الباء فيه للتعدية يعني أن الظلماء تحملني على الخبط (219).

ـــ الإشارة إلى اختلاف إعراب كلمة عند البصريين والكوفيين: وذلك كقوله في شرح المقامة الخامسة في قول الحريري «هلم جرا» إذ ورد في الشرح: «انتصاب جرا على الحال عند البصريين وعلى المصدر عند الكوفيين لأن في هلم معنى جرّوا» (140). أو قال ضمن إشارته إلى دلالة المصدر على الحال في قول الحريري: «ويبدو طوعكم»: «أي طائعا لكم وهذا من المصادر التي تقع أحوالا لقيامها مقام أسماء الفاعلين كقولهم: لقيته فجأة ورأيته عيانا أي مفاجئا ووقوع المصدر حالا ليس بقياس عند سيبويه وعند بعضهم قياس نظيره في مجيئه معرفة قولهم أرسلها العراك وفعلتَه جهدك وطاقتك» (195).

ـــ ذكر لزوم الفعل أو تعديته: كقوله في فعل «أبلس» إذ قال: » أبلس يئس وأبلسه غيره يتعدى ولا يتعدى» (197).

ـــ بيان ما هو المحذوف من الكلام: وذلك كقوله في شرح المقامة الرابعة عندما وضح عبارة «وأحتمل الخليط» إذ قال: «على حذف المضاف أي احتمل أذاه وأغضى له عما يحدث منه ولا أعاتبه من احتمل الشيء إذا رفعه على ظهره» (129).

ـــ توضيح بعض القواعد النحوية: وقد وضح بعض القواعد النحوية كلما اقتضى الشرح ذلك، مثل قوله في بيان «طالما» إذا أراد أن يشرح نوع «ما» فيها: «ما في طالما وقلمّا كافة بدليل عدم اقتضائهما الفاعلَ وتَهَيؤهما لوقوع الفعل بعدهما وحقّها أن يكتب موصولة بهما كما في ربّما وإنّما وأخواتها للمعنى الجامع بينهما كذا قاله المحققون منهم ابن الجني وقال ابن درستويه: لا يجوز أن يوصل بها شيء من الأفعال سوى نعم وبئس والقول هو الأول هذا إذا كانت كافة فأمّا إذا كانت مصدرية فليس إلا الفصل» (112).

4ـــ النقد:

لم يكن المطرزي بوصفه عالماً خبيراً باللغة والنحو والرواية ناقلاً آراء العلماء قبله فحسب ،بل كان ينقد في مواضيع عدة ما كان ينقل عنهم، وهذه نماذج نقده:

قال في شرح المثل «سقط في يده» في المقامة السابعة والثلاثين ناقلا أقوال بعض العلماء ناقدا إياها: «مَثَلٌ يضرب للنادم للتحسّر على فعل فَعَله ومعناه ندم لأن من شأن من اشتد ندمه وحسْرته أن يعضّ يده غمّا فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مُسند إلى في يده وهو من باب الكناية قاله جار الله فخر خوارزم وفي مجمع الأمثال قال أبو القسم الزجاجي: سقِط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب و لم يوجد ذلک في أشعارهم والذي يدلّ على هذا أنّ شعراء الاسلام لما سمعوه واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال لأن عادتهم لم يجرّبه فقال أبو نؤاس: «ونشوة سقِطت منها فى يدي»، وهو العالم النحرير فأخطأه في استعماله وذكر أبوحاتم سقط فلان في يده و هذا مثل قول أبي نؤاس وكلّ ذلک شاذ إن صحّ وكأنّ الإمام الحريري بنى قوله سقط الفتى في يده على ما ذكرت مع شذوذه » (357).

أو قال في شرح «صكّة عُميّ» في المقامة السابعة والعشرين: «وقال أبو علي الفارسي: اعلم أنّ صكة من قولهم جئته صكّة عميّ مصدر واقع موقع الظرف مثل مقدم الحاج وخفوق النجم قلت: وعلى ما ذكر الحريري إنّ عمىّا الظبي فالمصدر مضاف إلى المفعول به لأنّه يصكّه الحرّ في ذلک الوقت فيسدر ويصير كالأعمى أو إلى الفاعل لأنّه إذا اسمدرّ بصره من شدّة الحرّ صكّ كل ما يستقبله ويدلّ على أنه تصغير أعمى مرخما قوله في صفة بقرة وحشية:

أقبلـــــت صـــــكّة أعمـــــى خاليـــــة فلـــــم تجـــــد إلّـــــا ســـــلامي داميـــــة

وأمّا على قول من قال إنه علم لرجل فهو مضاف إلى الفاعل لا غير وعن أبي علي أنه يحتمل أن يكون تصغير عمي وحينئذ يكون الإضافة فيه كما في قولهم: ضرب التلف أي من شدتهما يعني الإنسان ويتلف والتصغير للتعظيم كما في قوله: «فويق جُبيل شاهق الرأس لم تكن» أو باق على الأصل لأن هذا الاسم دوار وإن كان شديدا لا يبلغ أن يكون عمى» (293).

أو نلاحظ أنه في شرح المقامة التاسعة عشرة في بيان مفردة «تفيئته» أشار إلى أقوال العلماء المختلفة كالسيرافي، وأبي علي الفارسي، أبي عمرو الشيباني ناقدا كلا منها، مشيرا إلى الرأي الصواب فيها (249).

ونلاحظ أحيانا أنه يبدي رأيه بعد نقل آراء العلماء؛ مثلا في شرح لفظة «الأصطرلاب» ذكر أصل الكلمة مشيرا إلى الأقوال المختلفة فيها بأنها يونانية، أو فارسية و.. وختم كلامه بقوله: «والأول أصح» (309).

5ـــ الشواهد:

لا يخامرُنا شكّ في مكانة الشاهد في العلوم العربية والإسلامية؛ وذلك أن الشاهد يُعدّ هو العصب لها في مرحلة التنظير، وهو المادة في مرحلة التطبيق، كما أنه هو العنصر الأساسي الذي تقعدت بناءً عليه قواعد اللغة وتراكيبها وتعبيراتها. والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد بل إنها لتكوّن في مجموعها تراثًا حضاريًا للأمة لا يمكن التفريط فيه فضلاً عن تجاهله؛ لأنه مرتبط بثقافة هذه الأمة «ارتباطًا وثيقًا منذ وقت مبكر من تاريخها، لما يختزنه من موروث ثقافي وحضاري في حياة العربي، ولما له من أثر كبير في تكوينه الأدبي والمعرفي، حتى غدا ثابتًا من أهم ثوابتها» (العطوي، 1425هـــ، 6).

ويعتقد الدكتور إميل بديع يعقوب بأنها تشكل قسمًا مهمًا من تراثنا اللغوي عامة وهي فضلاً عن ذلك تؤلف جزءًا مهمًا من تراثنا الأدبي والحضاري (بديع يعقوب، ١٩٩٢م، 5). وإن البحث في شواهد الشروح بما هو عليه من قيمة وضرورة هو في الحقيقة فرصة للتأمل في متون هذه الشروح ومنهية هذه الكتب في الإتيان بها.

ويعرّف عمر مختار الشاهد فيقول: «استشهد في مسألة نحوية ببيت من الشعر أو بآية أتى به أو بها شاهداً أو دليلاً على رأيه في المسألة، والشاهد هو البرهان على صحة القول وذلك بآية أو ببيت من الشعر وهو كالمثال غير أن المثال يؤتى به لإيضاح القاعدة وليس لإثباتها والجمع شواهد و شهود وأشهاد والشاهد في العبارة هو محط الغرض المقصود منها ويقال: هذا هو محط الشاهد» (سعيد الكرمي، 1991م، 507).

وأما الشواهد في شرح المطرزي فيضم أنواعا مختلفة منها:

القرآن الكريم:

يُعد القرآن أفصح نصّ عربي استشهد به المشتغلون بالعربية منذ صدر الإسلام وبه تعلقت نشأة الدراسات العربية بفروعها المختلفة ولقد أجمع العلماء على أنّ القرآن هو النص الوحيد الموثوق بصحته وعدّوه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة (البكّاء، 1990م، 162). بعد إحصاء آيات القرآن الكريم في شرح المطرزي تبين أنه استخدم 79 آية في شرحه و ذلك لأغراض مختلفة كما يظهر في الجدول التالي:

موارد الاستشهاد بالآية	التعداد
شرح الألفاظ	39
توضيح القضايا النحوية	16
الإشارة إلى حادثة تاريخية	14
تبيين النكات البلاغية	9
تأييد المعنى	1
الجمع	79

إن نظرة سريعة في الجدول تكشف عن اهتمام المطرزي بشرح الألفاظ والكلمات الغريبة؛ نظرا لوجودها الكثير في نص المقامات. وإليك الآن بعض النماذج من استشهاده بالقرآن الكريم:

قال في شرح لفظة «الإهراع»: «الإهراع الإسرع في رعدة وفي كتاب الخليل هو شدة السوق قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يهْرَعُونَ إِلَيهِ﴾[1] أي يساقون» (327). أو قال: «الرّهو السّاكن ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾[2]» (365).

وقال في شرحه في توضيح قضية نحوية و هي ترك المفعول به مستشهدا بآية قرآنية: «قوله: فلما روّق الليل البهيم أي أظلم وأصله من ترويق البيت وهو أن يجعل له رواقا، يقال: روّق البيت وبيت مروّق وحقيقته روّق ظلمته أي مدّ رواقها أو جعل لها رواقا إلاّ أنه ترک مفعوله نسيا منسيا فصار كغير المتعدي كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾[3] وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾[4] ونظائره كثيرة» (108). وقال أيضا في بيان حذف عائد الصلة: «واللّف الجماعة وهو فِعل بمعنى مفعول من اللّف وهو الضم والجمع ومنه فلففتها بكتيبة أمثالها وأصل هذا من قولهم: جاء بنو فلان ومن لفّ لفّهم قال يعقوب أي من التفّ بهم من غيرهم ومن حلفائهم وقيل من عدّ فيهم وتأشّب إليهم وأصله من لفّه لفّهم أي ضمّه جمعهم إلّا أنه حذف العائد إلى الموصول كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[5]» (289).

1. هود 11: 78
2. الدخان 44: 24
3. البقرة 2: 198
4. الكهف 18: 11
5. هود 11: 43 و 119

الشعر العربي: رغم تنوع الشواهد عند المطرزي يبدو أن الشعر عنده أظهر لكثرته وسيرورته ولبناء قواعد اللغة والاستدلالات عليه وهذا الاتساع في مجال الاستشهاد بالشعر أتاح للشواهد الشعرية التنوع والتمايز. استشهد المطرزي بالشعر في شرحه لأغراض تالية:

شرح مفردة: وذلك كثير في شرحه إذ نراه قد استعان بمروياته الشعرية في شرح بعض المفردات وهو غالباً ما يكتفي بالبيت الواحد شاهداً وينسبه إلى قائله كقوله في شرح المقامة الثالثة والأربعين: «البعيد ومنه تباطن المكان إذا تباعد قال زهير شعراً:

فبصبصن بين أداني الغضا وبين عُنيزَة شأوًا بطينا (416)

أو استشهد بالشعر لتوضيح الشخصيات التي قد وردت في المقامات وذلك كقوله في التعريف ببني الفرات الذين كانوا أصحاب الفضل والكرم وكانوا أربعة إخوة. والمطرزي استشهد بالشعر لمدح كل من هؤلاء الإخوة (260).

أو يكون الشعر شاهدا لتوضيح الأمثال وذلك كقوله في شرح المثل «اعتلاق الحرباء بالأعواد» لأنه مثل في اللزوم واستشهد بقول أبي داود في ذلك:

إنّي أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا (348)

أو استشهد بالشعر لتأييد معنى من المعاني وذلك كقوله في المقامة التاسعة والخمسين إذ ذكر أولا حديثا لتوضيح نص المقامات وبعده ذكر البيتين اللذين يشيران إلى معنى الحديث المستشهد به: « ممّا روى أنس عن النبي (ص) إنه قال خلق الله التواني والكسل فزوجهما فولد بينهما الفاقة ولقد نظم هذا المعنى المعاني وأحسن فقال:

إن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشاً وطيئا ثم قال له: اتكئ فقصر كما لا شك أن تلد الفقرا (476)»

أو استشهد بالشعر لتوضيح الإعراب وذلك كقوله: «وانتصب حسرة على أنه بيان للضمير في لها كقول المتنبي: أعيذها نظرات منك صادقة وقولهم: ربه رجلا» (300).

الحديث النبوي الشريف: كان المطرزي مكثرا في الاستشهاد بالحديث الشريف واستشهاده به فمعظمه في مسائل لغوية منها ما جاء في قوله لشرح لفظة «السيب»: «والسَّيب المال ومنه قيل للركاز سيب لأنّه من عطاء الله تعالى قال (ص): *وفي السيوب الخمس*[1] وأصل هذا كله من السيب وهو جري الماء» (113). واستشهد بالحديث في شرح مفردة «الوديقة» وهي شدة حر الهاجرة: «الآثار المنقولة في القيلولة كثيرة منها ما روى أنس أنّ النبي (عليه الصلاة والسلام) قال: استعينوا على قيام الليل بقائلة النهار واستعينوا على صيام النهار بسحور الليل واستعينوا على حرّ الصيف بالحجامة واستعينوا على برد الشتاء بأكل التمر والزبيب» (248).

1. أخرجه الطبراني، 20: 336.

ونلمح في النص التالي أن المطرزي عندما يشرح مفردة «خرافة» يتذكر الحديث الشريف الذي فيه هذه المفردة ومع أن معنى اللفظتين يختلف عن الآخر ولكنه بدأ يشرحه: «وقوله: فأعجبوا بخرافته أي بحديثه الغريب العجيب قال الغوري: الخرافة بضم الخاء وتخفيف الراء حديث مستملح كذب عن علي بن عيسى: وأصل الخرافة ما اخترف من النخل من الفواكه ثم جعلت اسما لما يتلهى به من الأحاديث ومثلها الفكاهة والتفكه وهما من الفاكهة وأما قوله عليه السلام: *وخرافة حق*[1] فهم اسم رجل من عذرة استهوته الجنّ فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا: حديث خرافة فقال ذلك يعني ما يحدّث به حق» (133).

أو استشهد به للتعريف بالشخصيات كما عرف ابن عباس مشيرا إلى دعاء النبي في حقه إذ قال (صلوات الله عليه): «والأحاديث الدالة على فطنته وذكائه أشهر من أن تُرد وأكثر من أن تُحدّ وكيف لا وقد دعا له النبي (ص) فقال: *اللّهم علّمه الحكمة وزده فهماً وعلما*[2]» (159).

كما استشهد بالحديث تأييدا للمعنى الذي ذكره: «وقوله لعلمي أن السّفر ينفج السُفر أي يملأها حتّى تنتفج أي ترتفع .. وهذا مبني على قوله عليه السلام: *سافروا تصحّوا وتغنموا*[3]» (321).

الأمثال: وذلك خاصة عندما يشرح الأمثال التي وردت في المقامات. وذلك إما ببيان مثل أو أمثال في تأييد ما ورد في النص كقوله في شرح المقامة الثالثة: «وقوله: والشرط أملك من أمثال العرب يضرب في حفظ الشرط يجري بين الإخوان وهو أفعل التفضيل من الملك ومثله المؤمنون عند شروطهم والمعنى أنهم إذا تشارطوا لا يمكنهم الخروج عن دائرة الشرط تكرّما فكأنه يملكهم» (127)؛ أو نلا حظ أنه يستخدم الأمثال التي تقابل تلك الأمثال التي استخدمها الحريري في مقاماته وذلك كقوله في شرح المقامة الثامنة والثلاثين إذ قال: «قولهم أحلّه مَقعَد الخاتن مثل في فرط القرب كقولهم: هو مني مقعَد القابلة ومعقد الإزار وفي ضدّه: هو منّي مناط العيوق ومناط الثريا أي بعيد» (362).

الحكايات: استشهد المطرزي في شرحه بالحكايات لأغراض مختلفة منها شرح المفردات والألفاظ كما ذكر حكاية في شرح لفظة «الإزار» مستشهدا بالبيت الشعري والآية القرآنية (422)؛ أو شرح العبارات وتوضيح أصل التركيب وذلك كقوله في بيان هذه العبارة «فما راقني من لاقني» التي وردت في نص المقامات: «أي ما أعجبني من أمسكني وعلق بي من قولهم: هذا لا يليق بك أي لا يعلق بك وعن الأصمعي أنه دخل على الرشيد يوما بعد غيبة كانت منه فقال له: يا أصمعي كيف كنت بعدي قال: ما لاقتني أرض بعدك فتبسم الرشيد فلما خرج الناس قال: ما معنى قولك ما لاقتني أرض قال: ما استقرت بى أرض حكاه السيرافي عن المبرد» (120).

أو أحيانا لتوضيح الجملات المبهمة التي ذكرها الحرير في المقامات وهي مقتبسة من حكاية أو طريفة فالشارح هنا يهتم بذكر تلك الحكاية ومنها: «وقوله: بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا حكى الإمام السرخسي في

---

1. أخرجه الديلمي، 1: 120.
2. أخرجه ابن أبي شيبة، 6: 383.
3. أخرجه البيهقي 7: 102.

فضل التشهد في كتابه أن أعرابيا دخل على أبي حنيفة فقال: أبو وأم بواوين فقال: بواوين فقال: بارك الله فيك كما بارك في لا ولا ثم ولى فتحير أصحابه وسئلوه عن سؤاله فقال: إن هذا سألني عن التشهد بواوين كتشهد ابن مسعود أم بواو كتشهد أبي موسى الأشعري قلت: بواوين قال: بارك الله فيك كما بارك في ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيةٍ وَلَا غَرْبِيةٍ﴾[1] وقد سمعت هذه الحكاية في كتاب المسلسلات على الإمام الأستاد بدر الائمة طاهر بن علي القاسمي على هذا السياق» (437).

أو نلاحظ أنه يستشهد بالحكاية لبيان وجه تسمية لغة أو شخص أو .. كما ذكر حكاية كيفية تسمية محمد بن المستنير بالقطرب إذ «قطرب دويبة يضرب بها المثل في كثرة السير ثم يلقب بها الرجل ويحكى أن سيبويه كان يخرج بالأسحار فيسري على بابه محمد بن المستنير فيقول إنها أنت قطرب ليل ثم غلب عليه هذا اللقب فلا يعرف إلا به» (438).

أو استشهاده بالحكايات كان من جهة التعريف بالشخصيات كما نلاحظ أنه ذكر عدة حكايات للتعريف بـــ «معبد» (234ـــ 235)؛ وكذلك قوله في التعريف بـــ «باقل» (223)، «حنين» (187) و...

أو كان يستشهد المطرزي بالحكايات لتوضيح الأمثال وكان يحكي الواقعة التي كانت مضرب المثل. قال على سبيل المثال لا الحصر في شرح المثل «ما كل سوداء تمرة»: «يـــضرب في خطاء الظن وفي اختلاف الأخلاق والطبائع وفي موضع التهمة أيضا وأوّل من قاله عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة وذلك أن أباه ذهلا هلك وترك عند أخيه قيس بن ثعلبة مالا فلمّا أدرك عامر وأخوه شيبان أتيا عمهما فوجداه قد أتوى المال فوثب عامر عليه يخنقه فقال: يابن أخي دعني فإن الشيخ متواه فكف عنه وقال: ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة وذهب مثلا» (348).

بقي لنا أن نشير إلى *بعض النقاط الهامة*؛ ألا وهي:

ـــ أن المطرزي اهتم بشرح يتراوح بين الإطناب والإيجاز للبلاد المختلفة التي يذكر أسماءها في شرحه ومنها هي:

بغداد، والبصرة، وحمص، ورحبه مالك بن طوق، غوطة، دمياط، الرُّها، حلوان، الأهواز و...

ونذكر شرحه لبلد الرها على سبيل المثال لا الحصر. قال في المقامه الثالثة والعشرين: «بالقصر والمدّ بلدة بالجزيره تنسب إليها أوراق المصاحف عن الخليل: بينها وبين حران ستة فراسخ وهي التي تنسب الكنيسة إليها فقال كنيسة الرّهى وهي إحدى عجائب الدنيا» (271).

والجدير بالذكر أنه أحيانا يبدأ في وصف أهل ذاك البلد وذكر صفاتهم التي اشتهروا بها؛ مثلا قال في أهل حمص بعد أن أشار إلى موقعية حمص الجغرافية: «أحد أجناد الشام وأهلها موصوفون بالرقاعة باتفاق الجماعة حتى أن البغدادي‌ين إذا أرادوا أن يعبروا عن الأحمق قالوا حمصي ونوادرهم كثيرة» (434). وبعده استطرد إلى ذكر هذه النوادر والحكايات الطريفة حتى ذكر 5 نوادر منهم.

---

1. النور 24: 35.

ـــ بجانب توضيحه للبلاد يعرّف المطرزي الشخصيات المختلفة التي ذكرها في شرحه وتلك هي التي وردت أسماءها ضمن بيان الأمثال أو في مواضع أخرى. من هؤلاء الشخصيات هم: ابن قتيبة، ساسان، سحبان، أصمعي، الكميت، أبو نعامة، عبد الله بن عباس، إياس، سليك، سريج، متلمس، حنين، عرقوب، باقل، سبا، قدار، أويس، دبيس، كسرى، ذو القرنين، الفضيل، إبراهيم بن أدهم، ابن إدريس، سجاح، مسيلمة، شيرين، زبيدة، بلقيس، بوران، الزباء، رابعة، خندف، الخنساء، مادِر، أو دُلامة، الحسن البصري، الشعبي، الخليل، أبو عمرو، جرير، عبد الحميد، بنو عذرة، آل أبي صفره، أبو مرة، أبو موسى الأشعري، عبد مناف، بسوس، قس بن ساعدة، أشعب، ابن ماء السماء، عمرو بن عبيد، قعقاع بن شور، جهينة، سموأل، جذيمة، عصام، ابن الدسكرة، معبد، إسحاق، زنام، كليب، و...

ـــ هناك بعض الدلالات تؤكد على أن المطرزي كان عالما فقيها مثقفا عارفا بالحديث راويا إياه .. مثلا قال ضمن المقامة السابعة عشرة: «أخبرنى الإمام الأجل الثقة والدي إجازة أخبرنا الإمام الأستاد أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني أخبرنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبرهيم الفارسي أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا أبو خليفة أخبرنا أبو همام أخبرنا إبرهيم بن طهمان عن أبي جناب عن يحيى بن هاني عن فروة بن مسيك قال: أتّيت رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله أخبرني عن سبا أرجل هو أم امرأة .. إلى نهاية الحديث..» (229)؛ فضلا عن أن ذِكرَه كثيرا من أسماء الكتب التي قرأها لو دل على شيء ليدل على ثقافته الواسعة وعلمه الغزير.

ـــ مما يدل على سعة اطلاع المطرزي ودقته في هذا الشرح ومراجعته إلى النسخ المتعددة للمقامات لكتابة شرحه هو أنه قد يشير إلى الأخطاء التي وقعت في النسخ وذلك كقوله: «وقوله: لشدّ ما قرسک البرد هكذا وقع في النسخ مخففا والصّواب قرّسک أي برّدک يقال قرس البرد والماء إذا اشتدّ وجمد وبرد وماء قارس وقريس وقرّسه البرد جمّده وبرّده» (282).

ـــ من سمات هذا الشرح أن المطرزي يؤجل بعض التوضيحات إلى ما بعد؛ ويشرح ما يراه مناسبا بالسياق والنص الذي يشرحه؛ فضلا عن أن هذا الإرجاع إلى ما بعد وإلى المقامات التالية يجر القارئ وراءه ويرغبه في قراءه الشرح. ومن نماذجه قوله في المقامة الأولى في شرح لفظة «الشقشقة» إذ قال: «وسيجيء هذا من بعد مستقصى إن شاء الله تعالى» (111). أو يؤجل ذكر أنساب الشخصيات التي يعرفهم كقوله في بني جفنه في المقامة الثانية (118).

ـــ من سمات شرح المطرزي للمقامات الحريرية هو الاستطراد، وقد ورد في تعريف الاستطراد بأنه هو «أن يأخذ المتكلم في معنى وقبل أن يتمه يأخذ في معنى آخر» (وهبه والمهندس، 1984م، 27). لم يستطع المطرزي كسائر الشراح أن يعتق نفسه من داء التكثر وحشد المعلومات فنراه يبسط كثيراً من المسائل اللغوية والأدبية والنحوية والتاريخية ويوسع في بحثها مستطردا إلى الأشباه والنظائر وما فيها من نقاط للدراسة والتحليل.

فلا يفوتنا أن نذكر أن معظم استطرادات الشارح يعود إلى شرح الألفاظ الصعبة واللغات، ونماذج من هذه الاستطرادات كثيرة، إذ نراه أنه نادراً ما يكتفي بمقابلة المفردة بمرادفها أو نظيرها اللغوي فالغالب على شرحه المفردات الاستطرادُ، فهو يورد المرادف ثم يتابع أحياناً دلالات جديدة للمفردة أو مرادفاتها.

والجدير بالذكر أن المطرزي يهب قارئ شرحه من خلال هذه الاستطرادات فوائد جمّة أدبية أو تاريخية أو لغوية.

ـــ ولا يفوتنا أن نشير إلى مصادر المطرزي في شرحه؛ إذ يمكننا تقسيم مصادره إلى القسمين: الشخصيات والكتب.

ولعل من أهم الشخصيات هو والده الكريم الذي أولى عناية فائقة بتربية ولده والمطرزي في مواضع متعددة من شرحه قد أشار إلى أنه قد أخذ من أبيه أو قرأ عليه. مثلا قال في شرحه: «وقرأت على والدي بخطه رحمه الله: إن البوح الأصل» (294)؛ أو قد استشهد بشعر أبيه، مثلا قال في شرح المقامة السابعة عشرة: «وقد أحسن والدي رحمه الله حيث جمع بين المثلين في قوله من قصيدة يذكر فيها بعض أبناء زمانه وهو:

صـــــديقهم شـــــروى مســـــىلمة الـــــردى زهـــــادهم لهـــــم مطـــــالع أشـــــعب (296)

فمن الشخصيات يمكننا أن نسمي: ابن أبي طرفة، ابن الأعرابي، ابن الأنباري، ابن المعتز، ابن جني، ابن خيثمة، أبو الحسن الحنظلي الشهرزوري، أبو الغوث، أبو المؤيد، أبو الهيثم، أبو بكر الخوارزمي، أبو بكر الهذلي، أبو ريحان، أبو زياد، أبو عمرو بن العلاء، أبو نصر، أبو نصر القمي، أحمد، الثعالبي، ثعلب، الجاحظ، جار الله الزمخشري، الحسن، الخطيب، الدينوري، سيبويه، الصدر، فخر خوارزم، الفراء، القتبي، اللحياني، محمد بن زكرياء، المدائني، المفضل، يعقوب، ابن السكيت، حمزة الأصفهاني، المبرد، يونس، الأخفش، الغوري، أبو عبيد، أبو عبيدة، الميداني، ابن درستويه، الكسائي، أبو زيد، طاهر بن علي العاصمي و...

أما الكتب التي راجعها المطرزي في شرحه واستند إليها في بيان شرحه هي: أساس البلاغة، البصريين، التكملة، الجامع، الحماسة، خواص الأشياء، ربيع الأبرار، الزاهر، الزواجر، عجائب البلدان، الفائق، المسالك، المشبع، المضاف، المقاييس، العين، مجمع الأمثال، المسلسلات و...

النتائج :

كان من الطبيعي ، أن يخرج البحث بالنتائج النسبية التالية ؛ و التي تظهر مقام الشارح ، و مكانة المشروح في خضم علم يتفاوت في تركيبيته الشكلانية و المعارفية ... بين اللغة و البلاغة و الفنية الأدبية :

ـــ شرحُ المطرزي للمفردات يدل على خبرته اللغوية وعلمه الواسع في هذا المجال؛ إذ لم يغفل عن شرح مفردة غريبة في المقامات.

ـــ اهتم في شرح الألفاظ الغريبة بذكر المعنى، التذكير أو التأنيث، الجمع والإفراد، التصغير، الاشتراك اللفظي، أصل اللغات، وجه تسمية الألفاظ، الترادف و...

ـــ قد استشهد المطرزي بالشواهد من مصادر مختلفة هي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، الشعر العربي، الأمثال، الحكايات.

ـــ كانت الشواهد في شرح المطرزي لأغراض مختلفة منها: شرح الألفاظ الغريبة، تأكيد المعنى، توضيح قضية نحوية أو صرفية، بيان مسألة بلاغية، و ...

ـــ من مظاهر اهتمام المطرزي بالنحو والإعراب في شرحه هي: الإشارة إلى عائد الضمير، وذكرُ الأوجه الإعرابية المحتملة لمفردات البيت، وبيان آراء الكوفيين والبصريين في قضايا نحوية، وتوضيح معاني الحروف والظروف في البيت.

ـــ الاستطرادات في شرحه تجعل القارئ يبعد عن الموضوع الأصلي أحيانا ويجول في آفاق بعيدة عنه.

- كانت للتدفقات الدلالية مرتعها الخصب ، في صناعة المكون الشكلي و التجريدي لفن المقامات .

- تجاوبت اللغة مع مفهوم المكان ، و أصلت للزمن الذي قيلت فيه بما يدل عليه .

المصادر والمراجع

ـــ *القرآن الكريم*.

ـــ البكاء، محمد عبد المطلب. *منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه*. د.م: دار الشؤون الثقافية العامة. 1990م.

ـــ ابن الطقطقى. (1339ه). *الفخري في الآداب السلطانية*. القاهرة: مكتبة العرب.

ـــ ابن خلكان. أحمد بن محمد. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارالثقافة. 1397هـــ.

ـــ ابن فارس بن زكريا، أحمد. (1977م). *الصاحبي في فقه اللغة*. تحقيق : السيد أحمد صقر. القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي.

ـــ أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي. (1963م). *الأضداد في كلام العرب*. تحقيق : د. عزه حسن. دمشق: د.ن.

ـــ البيهقي، أحمد بن الحسين. *السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي*. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة. 1344هـــ.

ـــ الحموي. شهاب الدين ياقوت. *معجم الأدباء*. ط3. بيروت: دار الفكر. 1980م.

ـــ السعافين، إبراهيم. (1987م). *أصول المقامات*. بيروت: دار المناهل.

ـــ السيوطي، جلال الدين. (1986م). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ومجموعة. بيروت: المكتبة العصرية.

ـــ الشريف الجرجاني، علي بن محمد. (1988م). *التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ـــ الطبراني، سليمان بن أحمد. *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. الموصل: مكتبة العلوم وحكم. 1983م.

ـــ العطوي، عويض ابن حمود. «*منهج التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبد القاهر وكل من السكاكي والخطيب القزويني*.» مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. المجلد 18. العدد 30. 1425هـــ.

ـــ القفطي، علي بن يوسف. *إنباه الرواة على أنباه النحاة*. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. صيدا ـــ بيروت: المكتبة العصرية، 2004م.

ـــ المطرزى، ناصر بن عبد السيد. *الإيضاح لمقامات الحريري شرح مقامات الحريري*. تحقيق محمد عثمان. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 2013م.

ـــ بديع يعقوب، إميل. *المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية*. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٢ م.

ـــ سعيد الكرمي، حسن. الهادي إلى لغة العرب. بيروتك دار لبنان للطباعة والنشر. 1991م.

ـــ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988م). *الكتاب*. تحقيق : عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.

ـــ كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. 1993م.

ـــ محمد المدني، علي. «الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري: دراسة وصفية.» *مجلة جامعة الملك سعود*. 7 (1995م): 39ـــ 71.

ـــ وهبه، مجدي؛ المهندس، كامل. (1984م). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. ط2. بيروت: مكتبة لبنان.